عن ان يكون ممثلاً شرعياً وحيداً للطبقة العاملة الفلسطينية، كما ينصّ عليه برنامج الحزب الحالي، المقرّ في المؤتمر التأسيسي الاول (١٩٨٤): «ان الحزب الشيوعي الفلسطيني هو الطليعة السياسية المنظمة للطبقة العاملة؛ الطبقة الاكثر ثورية والاطول نفساً في مختلف مراحل النضال، بدءاً من التحرر الوطني وانتهاء بالتحرر الكامل، من كل أشكال الاستعباد والاستغلال القومي والطبقي»(١٠٤).

هل أراد الحزب، بهذا التعريف، ان يخرج من محتواه الطبقي الى اطار أوسع؟ أم ان الامر لا يخرج عن وصف «حالة موضوعية موجودة في الحياة، وفي حياة الحزب الشيوعي الفلسطيني تحديداً» كما قال احد قادة الحزب، تيسير عاروري، الذي برّر هذا التعديل بقوله، أيضاً، ان «الطبقة العاملة، بالطبع، لا يضيرها، بل هو انجاز ومفخرة ومصدر اعتزاز لها، ان تتسع دائرة الفئات الاجتماعية التي تتبنّى برنامجها لبناء مجتمع العدالة الاجتماعية، مجتمع الاشتراكية»(١٠٥). وهذا التبرير، في الواقع، يفرغ التغيير الذي أُجري من مضمونه، ويطرحه كما لو كان تغييراً شكلياً في النص. ولا شك في ان الامر يتعدّى ذلك الامر بكثير، خاصة عندما نرى التعديل الذي أُجري في هوية الحزب الايديولوجية.

في السابق (البرنامج الحالي للحزب)، ذكر البرنامج ان الحزب «يسترشد بتعاليم الماركسية ـ اللينينية وبمبادىء الاممية البروليتارية، ويقيم تنظيمه وفق قواعد المركزية الديمقراطية»(١٠٦)؛ أمّا مشروع البرنامج السياسي الجديد، فذكر ان الحزب «يستند الى المنهج الماركسي الجدلي، ويسترشد بمبادىء الفكر الاشتراكي وقيم الحرية والمساواة والتقدّم والعدالة الاجتماعية، مستلهماً، في ممارسته النظرية والعملية، التقاليد الوطنية للشعب الفلسطيني ومعطيات التجارب الثورية للشعوب العربية، وكل ما هو تقدمي في التراث العربي»(١٠٧).

وتبدو الهوّة واضحة بين النصّين. فقد خلا النص الجديد من اللينينية، ومن مبادىء الاممية البروليتارية، واعتبر انه يتعاطى مع الماركسية كمنهج، ولم يحدّد مبادىء أي فكر اشتراكي ذلك الذي يسترشد به، وجاءت عبارة الاسترشاد بقيم «الحرية والمساواة والتقدم والعدالة الاجتماعية» أقرب ما تكون الى استلهام شعارات الثورة الفرنسية، وهي الشعارات التي اعتبرها الفكر الماركسي شعارات برجوازية. كما برزت، في النص الجديد، ولأول مرة، دعوة الى استلهام التقاليد الوطنية والتجارب الثورية للشعوب العربية والتقدمية في التراث العربي.

وعلى صعيد وحدة اليسار الفلسطيني، تبنّى مشروع البرنامج السياسي موقفاً يعتبر انقلاباً على موقفه السابق. فقد نصّ المشروع الجديد على «ان الحزب الشيوعي الفلسطيني، ادراكاً منه للاهمية التاريخية لوحدة اليسار الفلسطيني، سيبذل كل ما في وسعه، بالتعاون مع القوى القريبة منه ايديولوجياً وسياسياً، من اجل تجسيد هذه الوحدة في اطار حزب موحّد»(١٠٨). وكان الحزب، في السابق، يعتبر نفسه «الوحيد» الذي يمثّل الطبقة العاملة الفلسطينية، وان قوى اليسار الفلسطيني الاخرى ما زالت تنظيمات «ديمقراطية ثورية»، لم تصل الى مستوى الهضم الكامل للماركسية ـ اللينينية، التي «استطاع» الحزب الشيوعي الفلسطيني، «وحده»، بلوغها!

بالاضافة الى ذلك، شطبت من مشروع البرنامج السياسي العبارة الموجودة في البرنامج الحالي للحزب، التي نصّها: «ان الحزب الشيوعي الفلسطيني جزء لا يتجزأ من الحركة الشيوعية والعمّالية العالمية، يحرص على وحدتها وانسجامها، ويساهم، بدوره، في السهر على نقاوة الماركسية ـ اللينينية وحمايتها من مختلف أشكال التحريف اليمينية و/ اليسارية/ ، ويتمسّك، في فكره ونشاطه، براية الاممية البروليتارية، ويربّي اعضاءه بروح الاخوّة الاممية والتضامن الاممي مع كافة فصائل